



# أهمية الاستثمار في الحرف والصناعات اليدوية

سعيد محمد القحطاني\*

يحظى قطاع الحرف والصناعات اليدوية باهتمام واسع في معظم دول العالم، وتتزايد الجهود المبذولة على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لتأكيد الأهمية الاجتماعية والثقافية للحرف كجزء من التراث الوطني في غالبية الدول، ولا ينحصر الاهتمام على الجوانب الثقافية والاجتماعية بل يشمل الجوانب الاقتصادية وذلك لأهمية الاستفادة من الإمكانيات المتاحة سواء أكانت تلك الإمكانيات تتعلق بالموارد البشرية التي لديها مهارات متميزة في الأنشطة الحرفية أو تتعلق بزيادة الاستفادة من الخدمات الأولية المتوفرة في البيئة المحلية، أو غير ذلك من الإمكانيات المتاحة لدى بعض الجهات ذات العلاقة التي يمكن الاستفادة منها في تنمية وتفعيل الاستثمار في مشاريع صغيرة أو متوسطة الحجم في قطاع الصناعات اليدوية، وذلك لأهمية منتجاتها في جذب السياح وزيادة أعدادهم....



وتعريف الصناعات اليدوية بأنها تلك الصناعات التي يقوم بمزاومتها الحرفي معتمداً في عمله على مهاراته الفردية الذهنية واليدوية التي اكتسبها من تطور ممارسته للعمل الحرفي وذلك باستخدام الخامات الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية المحلية أو الخامات الأولية المستوردة بحيث يتم التعامل معها في الإنتاج بصورة يدوية أو باستخدام بعض العدد والأدوات البسيطة... وتنعكس أهمية الحرف والصناعات اليدوية في أن بعض المنتجات الحرفية ذات دلالة على جوانب الهوية الوطنية للدولة المنتجة





للحرف والصناعات اليدوية، وفيما يلي عرض لأهمية الحرف والصناعات اليدوية. وتشير كتب التاريخ إلى أنه في عهد النبي ﷺ كان يوجد صحابة عظماء يزاولون أعمالاً حرفية، ذكر ذلك الإمام محمد بن مسلم بن قتيبة في كتابه (المعارف ص ٥٧٥) تحت عنوان صناعة الأشراف، والصحابة والتابعين هم سادة الدنيا علماء وعملاً وفضلاً، وكانت صناعاتهم وحرفهم في النجارة والحدادة والخياطة والجزارة ولم يقلل ذلك من شأنهم عند الله ولا عند عقلاء الناس.

وبصفة عامة ينظر إلى الصناعات الحرفية اليدوية على أنها مرآة تعكس جانباً من جوانب الهوية الوطنية للبلد، وتعد تراثاً وطنياً تحافظ عليه معظم الدول كجزء من هويتها وأصالة شعوبها ورمزاً لعراقتها وحضارتها وتطورها.

ولقد كانت الصناعات اليدوية حتى الماضي القريب تفي بكل متطلبات ومستلزمات المستهلك، وكانت منتجاتها متوافقة مع الأنماط المعيشية السائدة في المدن والأرياف وتسهم بتوفير حاجات الإنسان المختلفة، من ملابس وأثاث ومسكن وغيرها من مستلزمات الحياة اليومية في جميع الميادين، وتبعاً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي اجتاحت العالم، وأدت إلى تغيرات عميقة في سلوكيات وحاجات الأفراد وأنماط الاستهلاك فقد انحسر العمل في قطاع الصناعات اليدوية مقابل. وبفضل التقدم والنمو الاقتصادي الذي بلغته المجتمعات الإنسانية، والانتقال من مرحلة الإنتاج اليدوي إلى مرحلة التصنيع الآلي، حيث تشهد منتجات الصناعات اليدوية في العالم اليوم تنافساً شديداً من جانب السلع المصنعة باستخدام الآلات، ويعزى ذلك إلى أسباب منها القدرات الإنتاجية العالية للآلات أو إدخال التقنيات الحديثة إضافة إلى اكتشاف مواد خام جديدة بديلة واستخدامها كبديل للخامات المحلية، فضلاً عن زيادة تفضيل بعض المستهلكين للسلع أو المنتجات المصنعة آلياً، ولا سيما إذا صاحب ذلك

انخفاض في سعرها وملاءمتها لخدمة حاجاته بصورة أفضل، ونتيجة لكل ذلك برزت اتجاهات مختلفة لمسألة التعامل مع الصناعات اليدوية، فهناك فئة تنظر إليها من منظور التراث وضرورة الإبقاء عليه دون تجديد أو تعديل. وهناك فئة ثانية ترى أن الأكثر صواباً هو إدماج هذه الحرف في عجلة الصناعة الحديثة وإهمال ما لا يقبل الإدماج إلى أن يندثر تلقائياً، أما الفئة الثالثة فتري أن الصناعات اليدوية يجب التعامل معها كتراث وطني يجب المحافظة عليه، وكصناعة توفر فرصاً للعمل سواء في الإنتاج أو التسويق الذي يجب أن يتلاءم مع رغبات المستهلكين بصفة عامة، ومع رغبات بعض الفئات الأخرى ذات الاهتمام باقتناء المنتجات اليدوية بصفة خاصة كالسواح مثلاً.

وتعد الصناعات اليدوية أحد المجالات التي تسهم في حشد وتعبئة القوى العاملة الوطنية وتحسين مدى المشاركة في النشاط الاقتصادي وذلك من أجل دفع عجلة الاقتصاد وتحقيق التنمية وفي هذا السياق تعد إتاحة الفرصة لاستيعاب النساء العاملات إحدى الوسائل المهمة لبلوغ ذلك الهدف.

وتركز الخطط التي يتم وضعها لزيادة فرص العمل وإيجاد وظائف جيدة، وإن ما يتم استحداثه من وظائف سيكون متاحاً لفئات المجتمع من الرجال والنساء، خاصة أن الصناعات اليدوية هي أحد القطاعات التي لا تتردد المرأة عن العمل فيها، ولا سيما أن معظم العمل في المنزل دون الحاجة إلى الانتقال إلى أماكن العمل ما يعني أن هذا القطاع يشتمل على إمكانية تعبئة كافة الموارد البشرية غير المستغلة التي إذا لم تعمل فإنها تعد ضمن البطالة المقنعة.

إضافة إلى ذلك فإن طبيعة العملية الإنتاجية والتسويقية المرتبطة بهذه الحرف





تجعل من الممكن لكبار السن أو غيرهم من الفئات الخاصة وغيرهم من العاملين الذين لا يرغبون أو لا يستطيعون ترك مكان إقامتهم، ولكن يمكن مزاولة العمل في بعض الصناعات اليدوية بما يوفر لهم مصدراً للدخل ويرفع من معنوياتهم. ويعتمد الإنتاج في الصناعات اليدوية بشكل رئيسي على الأفراد، وغالباً فإن النسبة بين رأس المال والعمالة منخفضة مقارنة مع الصناعات غير اليدوية، ونظراً لتدني النسبة بين رأس المال والعمالة فإن هذا القطاع يشكل مصدراً قوياً من مصادر توفير فرص العمل كما برهنت الصناعات اليدوية على أنها مصدر جيد للعملات الأجنبية في عدد من الدول النامية حيث يسهم هذا القطاع اسهاماً كبيراً في إجمالي العملات التي تحصل عليها بعض الدول من تصدير المنتجات المصنعة في الدولة

ويحتسب ذلك ضمن عائدات السياحة للدولة، ويمكن تلخيص الأهمية الاقتصادية للصناعات اليدوية في التالي:

١ - إمكانية إيجاد فرص عمل أكبر عن طريق تخصيص موارد أقل مقارنة بمتطلبات الصناعات الأخرى وقابليتها لاستيعاب وتشغيل أعداد كبيرة من القوى العاملة بمؤهلات تعليمية منخفضة.

٢ - الاستفادة من الخدمات المحلية وخاصة المتوفرة في المناطق الريفية.

٣ - تستطيع المرأة كأم وربة بيت ممارسة الحرفة في الأوقات التي تناسبها، وفي الأماكن التي تختارها أو حتى في منزلها.

٤ - انخفاض التكاليف اللازمة للتدريب، لاعتمادها أساساً على أسلوب التدريب أثناء العمل فضلاً عن استخدامها في الغالب للتقنيات البسيطة غير المعقدة.

٥ - المرونة في الانتشار في مختلف المناطق وخاصة التي يتوفر بها خدمات أولية بما يؤدي إلى تحقيق التنمية المتوازنة بين الريف والحضر ويؤدي إلى الحد من ظاهرة الهجرة الداخلية ونمو مجتمعات إنتاجية جديدة في المناطق النائية.

٦ - المرونة في الإنتاج والقدرة على تقديم منتجات وفق احتياجات وطلب المستهلك أو السائح.

وعن الأهمية السياحية فقد تبين من بعض الدراسات المنشورة في بعض الدول أن قطاع الحرف والصناعات اليدوية يسهم بدور إيجابي وفعال في التنمية السياحية ويعزى ذلك إلى أسباب تشجيع الزوار والسياح على شراء المنتجات التقليدية والاحتفاظ بها كتذكار أو توزيعها كهدايا، إن القيمة التراثية للحرف أمر معترف به في المناطق السياحية في كافة دول العالم، والعائد المادي هو العامل الأكثر أهمية في بقاء هذه الحرف حيث يلاحظ بصورة عامة أي سائح (بمفرده أو ضمن مجموعة) عند زيارته لأي دولة تكمن رغباته في اقتناء المنتجات الحرفية من تلك الدولة، و تتطلب الأهمية السياسية عملية تشجيع ودعم الصناعات اليدوية حتى يمكن توفير منتجات حرفية ذات نوعيات جيدة وبمواصفات ملائمة سواء فيما يتعلق بالحجم أو الشكل لذلك لا بد من مضاعفة الجهد والتصدي للمصاعب والعقبات التي تواجه الحرفي وهذا الإجراء يتطلب الجهد والتنسيق بين كثير من الجهات ذات الاهتمام بالحرف، ومن ذلك أهمية تنمية مستوى الوعي لدى المجتمع بأهمية الحرف وإيجاد أسواق ومنتجات جديدة، مع تحسين أساليب العرض والتقديم وطريقة التغليف لبعض المنتجات الحرفية، على أن يصاحب ذلك تميز في الجودة والنوعية للمنتجات الحرفية وقد يلزم توفير فرص لتدريب العاملين في مجال الحرف لذلك لا بد من دعم كافة الوسائل المتعلقة بالحرف والصناعات اليدوية، إضافة إلى تشجيع دعم المساهمة النسائية في قطاع الحرف اليدوية وزيادة أعداد المنتجين والبائعين والعمل أيضاً على تطوير الورش والأسواق الحرفية للوصول في النهاية إلى حرف وصناعات جيدة ومتطورة تسهم بشكل جيد في النهوض بالصناعات اليدوية والاستفادة منها سياحياً في جميع المناطق.

\*باحث - الرياض

